كلمنصو (١)

قرأنا للسر توماس باركلي مقالة مسهبة في جزء ابريل من مجلة القرن التاسع عشر وصف بها الاقطاب الثلاثة كلمنصو وولسن ولويد جورج وقال انهُ يعرف كلمنصو منذ اربعين سنة وانهُ يودُّ الرئيس ولسن وانهُ رأى لويد جورج مدة سنة في مجلس النواب واقام شهرين يجول في اوربا بين باريس وورسو بالاتومو بيل بعد امضاء معاهدة الصلح . وهذا كل ما يستطيع الاعتماد عليهِ في كتابة مقالتهِ. لكنهُ اقتبس من اقوال كلمنصو التي قالها في اوقات مختلفة ما يدلُّ على انهُ قد تتبَّع سياستهُ منذ اربعين سنة الى الآن وذكر من الحقائق في وصفهِ ما لم نرَ اجلى منهُ فيما كتبهُ عنهُ غيرهُ من الكتاب فاقتطفنا منها ما يلي قال

ان كلمنصو مدين بجسمهِ لبريتني وبعقلهِ لڤولتر وقد تمثلت فيهِ اسمى المناقب الفرنسوية. يكره الدسائس السياسية ولو مرَّ عليهِ نصف قرن وهو يقلب الوزارات. قليلٌ اصدقاؤهُ كثيرٌ الذين يخشونهُ . وهم يخشونهُ لا لانهُ اشتال احداً بل لانهُ جسور يقابل خصومهُ مواجهة ويدوس النفاق ويمزق كل ستار يحجب وراءهُ ما يكره . كان في شبابهِ بارعاً في استعمال السلاح لما كان السلاح لازماً لمن قلة لايهاب احداً وقد شاخ ولم يزل في عنفوان قوتهِ . قال فيهِ المستر كينس (٢) Keynes انهُ لا يرى في الكون الا فرنسا وكل ما سواها باطل حتى شعب فرنسا والوزراء رفاقهُ. وان لا محل للعواطف في نفسهِ . والامم عندهُ اشياء تُحبُّ واحداً منها وتكره البقية او لا تُعنى بها. وعندهُ ان الالمان لا يفهمون الا الارهاب وانهم بلا شرف ولا مروءة ولا رحمة . وايَّد السر توماس باركلي هذا الوصف ثم قال لقيتهُ اولاً في قصر الاليزه في استقبال رسمي على عهد الرئيس غرائي وكان

(١) ولد جورج كلمنصو في مقاطعة فنده سنة ١٨٤١ ودرس الطب ومارسه مدة ولم تأت ١٨٧٠ حتى كان اسمه قد اشتهر فانتخب محافظاً لتسم من باريس وهو اصعب اقسامها ادارة وانتخب في السنة التالية عضواً في الجمعية الوطنية ثم انتخب عضواً في مجلس باريس البلدي وتقلب في مناصبه الى ان صار رئيساً له سنة ١٨٧٥ وانتخب نائباً في مجلس النواب وكان من حزب اليسار المتطرف وصار بقوة عارضته رئيساً لذلك الحزب. وانشأ جريدة العدل سنة ١٨٨٠ . ومن ثم ابتدأت شهرته كمتقد سياسي وقلب الوزرات وزادت شهرته لانه كان يأبى ان ينتظم في خدمة الحكومة ولو رئيساً للوزارة

(٢) في مقالة عنه وعن ولسن ولويد جورج شديدة اللهجة جداً

شاربان صغيران وشعره اسود وكان يكثر من الاشارات بيديه حينما يتكلم لتعزيز حجته. وقفت حولهُ في حلقة صغيرة ومرّ بنا المسيو مين وكان زعيماً لطالبي حماية التجارة وكان كلمنصو يقول بوجوب حريتها فاصابت يده وجه المسيو مين عرضاً لكثرة حركاته فاعتذر اليهِ وظهر لي انهُ سُرَّ بالاعتذار الى خصمهِ كما سُرَّ بلطمهِ على خده ولو على غير قصد منهُ

ولم يكن الرئيس غرافي يثق بهِ لانهُ كان يحسب انهُ يهيج الخواطر ولا يحسن النفع . اشار عليهِ المسيو ولدك روسو مرة ان ينتدبهُ لتأليف الوزارة وكان كلمنصو سبب سقوطها فاجابهُ بمثل معناهُ ليس كل من يهدم قادراً على البناء

ترى الحزم والعناد مكتوبين في كل ملمح من ملامح وجههِ وقلمهُ مثل وجههِ حاد عنيف لا هوادة فيهِ وكذا لسانهُ قال مرة عن المسيو ريبو انهُ قبو ولكنهُ لا يحمي من يلجأ اليهِ C'est une voute, mais pas un abri. والاستعارة حسنة لان الشعب يشعر انهُ في امن اذا كان وزيرهُ حازماً مثل كلمنصو ولا يشعر كذلك ولو كان وزيره حكيماً مفكراً مثل ريبو

وقد كثر الانتقاد على كلمنصو بسبب سكرتيرهِ الخصوصي المسيو مندل وقال بعض الظرفاء انهُ شديد الثقة بهِ حتى صار في قبضة يده . والمرجح ان كلمنصو يعتمد عليهِ لانهُ كثير الحفظ قوي الذاكرة بعد ان ضعفت ذاكرة كلمنصو من الشيخوخة. قال بعضهم ان كلمنصو يقول قولاً فيقول لهُ مندل لقد قلت يا حضرة الرئيس ما يناقض ذلك في الرجل الحر (اسم جريدة كلمنصو) في التاريخ الفلاني . فيقول لهُ كلمنصو ان كان الامر كذلك فقل الآن ما يطابق قولي الاول

وقد يكون كلمنصو محباً للانتقام كما يظهر من تصرفهِ في قضية كايو ولكنهُ منصف كريم لم يحجم مطلقاً عن المحاضرة بنفسهِ في سبيل الدفاع عما اعتقدهُ حقاً. ولا شبهة في انهُ جامع بين القوة الجسدية والعقلية . وهو من رجال السياسة الذين يقدّمون الخير العاجل على الآجل . ولا ظن انهُ من الرجال الذين تعميهم وطنيتهم عن الحق اذا لم يكن في مصلحة وطنهم لان اخلاقهُ تستلزم الدفاع عن الحق والعدل من غير محاباة وهذا شأنهُ دائماً وهو سريع الخاطر جداً فبينما كان الرئيس ولسن يوازن بين الامور في مؤتمر الصلح كان كلمنصو قد قرّر في نفسهِ ما يجب تقريرهُ